

الأصول الفصيحة للألفاظ العربية المستعملة في العامية الجزائرية

منطقة تيسمسيلت أنموذجاً

*The Eloquent Origins of the Arabic Expressions used in the Algerian Slang
Tissemsilt Region as a Model*

د. بن طاطة محمد*

جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر

bentata16@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/11/29

تاريخ الاستلام: 2024/02/10

تاريخ النشر: 2024/12/10

ملخص

تخضر الألفاظ العربية الفصيحة بشكل واضح في العامية الجزائرية، إلى جانب الألفاظ المأخوذة من لغات الشعوب الذين عمروا البلاد قبل العرب، والذين جاؤوا بعدهم مثل: الفرنسيين... وتبدو اللغة العربية الأكثر تأثيراً من غيرها في المنطقة لارتباطها بالدين، والتاريخ، إلا أنّ حضورها يختلف من حيث الكم من منطقة إلى أخرى، فيلاحظ أنّ تأثيرها يزيد كلما اتجهنا نحو المناطق الداخلية، مثل منطقة تيسمسيلت (نموذج البحث)، والتي استقبلت القبائل العربية مثل باقي البلاد، وتأثرت بلغتهم (العربية)، إلا أنه من حيث الأداء يُلاحظ أنّها تؤدي بشكل يختلف عن الأصول المتعارف عليها، مما يبعث على التساؤل والبحث عن العوامل التي أدت إلى هذا الانحراف في الأداء والذي شكّل مستويين من اللغة: فصيح وعامي...

الكلمات المفتاحية: لغة ؛ عامية ؛ فصاحة ؛ ألسنة ؛ عرب.

Abstract:

The eloquent Arabic expressions are clearly present in the Algerian vernacular, along with the expressions taken from the languages of the peoples who populated the country before the Arabs, and those who came after them, such as the French. Arabic seems to be more influential than others in the region due to its association with religion and history, but its presence differs in terms of quantity from one region to another, and it is noted that its influence increases as we go towards the inner lands, such as Tissemsilt area (research sample), which also received Arab tribes and was affected by their language (Arabic). However, in terms of performance, it is noticed that it is spoken in a way which differs from the accepted standards raising questions and researches for the factors that led to this deviation in performance which gave rise to two levels of language: eloquent and colloquial...

Keywords: language; vernacular.; eloquence .; tongues .; Arabs.

*المؤلف المرسل بن طاطة محمد bentata16@gmail.com

المقدمة

ظهرت اللغة العربية على لسان المجموعة البشرية التي استوطنت المنطقة الواقعة جنوب غرب آسيا، والمحددة من الشرق بالخليج العربي، ومن الغرب بالبحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشمال بلاد الأكراد والترك، وكانت طبيعة تلك البلاد قاسية، فمعظم أراضيها صحراء، وقسمها الغربي أرضه صخرية، وصعبة المسالك (الجندي، 1983، صفحة 19)، وفي هذه البيئة القاسية نشأت اللغة العربية، وعاش أهلها (العرب) زمنا طويلا على هامش التاريخ إلى أن ظهر الإسلام، وتوحدت الجزيرة "...ثم شاء الله أن تنزع العربية مع الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً، حيث اتصلت هناك لغات الفاتحين بلغات غيرهم..." (الجندي، 1983، صفحة 129)، فتأثروا بها وعاشت جنبا إلى جنب مع لغاتهم الأصلية.

استقبلت كثير من الشعوب التي اتصلت بالعرب الإسلام، لكنها تفاوتت في التأثر بلغته (العربية)، وكانت الأمم الواقعة غرب الجزيرة العربية أكثر تقبلاً لها؛ حيث "...إنّ المتأمل في حركة الفتح الإسلامي يلفت نظره أمر هام، وهو أنّ المناطق التي تقع غرب الجزيرة العربية ووصل إليها الفاتحون الأولون قد تعرّبت تماماً، أيّ اتخذت اللغة العربية لساناً ورضيت العروبة انتماءً..." (الحسني، 2010، صفحة 286)، إلا أنّ اللغة لم تصدر على ألسنة أولئك المستعربين كما كانت في الجزيرة، وهذا أمر طبيعي، ف"...هكذا الحال في اللغات فإنّ عوامل الألسن، والأقلام، والتغلب، والضعف تلعب بها لعب مجاري الهواء بالريشة، ومخالطة الأعاجم تفعل فيها أفعالا عجبية بين حذف، وزيادة، وقلب، وإبدال، ونحت، وتصحيف، وتحريف، وتغيير، وتبديل وما شاكل، فتُحل محلّها الرطانة الأجنبية... حتى تكاد تذهب بالأصل أحيانا..." (المعلوف، 1934، صفحة 350)، وهذا الذي حدث بالفعل في شمال إفريقيا عموماً وفي منطقة تيسمسيلت (محل البحث) خصوصاً.

1- تحديد منطقة تيسمسيلت (عينة الدراسة).

وقع الاختيار على منطقة تيسمسيلت كنموذج للدراسة من أجل تضيق مجال البحث، وليس لخصوصية تميزها، فهي ككثير من المناطق الداخلية بعيدة عن بلاد القبائل حيث يكثر استعمال الألفاظ الامازيغية، وبعيدة-نوعاً ما- عن الساحل حيث هناك تأثير شديد للغة الفرنسية، بالإضافة إلى التركيبة البشرية لسكان المنطقة، والتي فيها من البربر والعرب. والقبيلة البربرية التي استوطنت الجزائر أو المغرب الأوسط تسمى زناتة، يقول عنها ابن خلدون: "...وبجبل أوراس بقايا منهم، سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد، وأذعنوا لحكمهم، والأكثر منهم بالمغرب الأوسط، حتى أنّه ينسب إليهم، وعُرف بهم فيقال وطن زناتة..." (ابن خلدون، 1995، صفحة 477) وزناتة هذه قبيلة كبيرة، بينما الحي الذي استوطن منطقتنا يسمى "بني توجين"، ويحدّد ابن خلدون جغرافية هذا الحي: "...بنو توجين كان هذا الحي من أعظم أحياء بني بادين، وأوفرهم عدداً، كانت مواطنهم خفافي وادي الشلف، قبل جبل النوشريس من أرض السرسو، وهو المسمّى لهذا العهد نحر واصل، وكان بأرض السرسو بجهة الغرب منهم بطون من لواتة، وغلبهم عليها بنو وجديجن ومطماطة..." (ابن خلدون، 1995، صفحة 267)، ويضيف ابن خلدون: "...ثم صارت أرض

السرسو لبني توجين هؤلاء، واستضافوها لمواطنهم الأولى، صارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة..." (ابن خلدون، 1995، صفحة 267) والخريطة التي يرسمها ابن خلدون لقبيلة بني توجين هي ما بين جبل الونشريس، وسهل السرسو، ومطماطة (بلدية الملعب)، وجبل دراك (بثنية الحد).

والعرب الذين اختلطوا ببني توجين هم بطون من بني هلال الذين هاجروا من الشرق مع بداية القرن الخامس هجري، قال عنهم ابن خلدون: "...العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق من بني هلال، وسليم..." (ابن خلدون، 1995، صفحة 7) العرب الذين استقروا في المنطقة قوم من بني سليم قال عنهم ابن خلدون أيضاً: "...ويزعم بنو سلامة هؤلاء أنهم دخلوا في نسب توجين وأنهم من العرب من بني سليم بن منصور..." (ابن خلدون، 1995، صفحة 286)، وهناك فرع آخر من العرب استوطنوا المنطقة هم بنو سويد يذكرهم ابن خلدون: "...وكان أولياؤهم من عرب بني سويد من زغبة بما كانوا جيرانهم في مواطنهم من ناحية القبلة..." (ابن خلدون، 1995، صفحة 288).

اختلط سكان المنطقة مع عرب الشرق وأخذوا عنهم الإسلام، ولما كانت الغلبة للعرب تحولّ اللسان إلى عربية ممتزجة، اشترك في صنعها عامة الناس، المتعلّم منهم والأمّي، فيها ألفاظ عربية فصيحة إلى جانب ألفاظ من لغة سكان المنطقة مع ظهور العجمة التي في لسانهم، والتي حرّفت الكثير من الألفاظ العربية الفصيحة، ولهذا سميت هذه اللغة بالعامية، كان قاموسها في البداية يتراوح بين ألفاظ عربية فصيحة، وألفاظ أمازيغية ثم جاءت اللغة الفرنسية، فانضافت إليها وصارت إلى شكلها الذي هي عليه اليوم.

كان هذا التحول متوقعاً، فلا يُتَظَر أن تحلّ العربية محلّ اللغة الأصلية للسكان بشكل تام، فقد تعلّموها، واستعملوها في خطاباتهم اليومية، ولكن وفق قواعد لسانهم الأصلي، وهنا أصبح لهم لغة رسمية هي اللغة العربية الفصيحة، تُستعمل في التعليم والخطب الدينية، والمراسلات، ولغة ثانية أغلب ألفاظها من العربية إلى جانب ألفاظ من اللغات الأصلية للسكان، بالإضافة إلى الفرنسية التي جاءت متأخرة لكنها اتخذت موقعها بينهم، وهذا المستوى من اللغة متداول بين عامة الناس من متعلمين وأميين، وهنا نشهد تشكّل مستويين من اللغة: الفصحى والعامية.

2- ملحة عامة حول الفصحى والعامية

من الثابت أنّ اللغات على اختلافها ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع البيئات التي نشأت فيها، وعطفاً على هذا المعنى فإنّ اللغة العربية نشأت في بيئة ذات مواصفات معيّنة، وتكوّنت لدى أهلها قواعد نحوية، وصرفية وصوتية، ودلالية خاصة بهم، ولما خرجت من بيئتها الأصلية (الجزيرة العربية) اصطدمت بقواعد لغوية أخرى، فحرّفتها عن المستوى الذي كانت فيه، وظهر هنا مستويان من اللغة: مستوى يخضع لنظام القواعد ويتّسم بالثبات، ويُجمّع عليه كل الناطقين باللغة العربية، يسمى هذا المستوى باللغة العربية الفصيحة.

والفصاحة هنا نقصد بها سلامة اللغة من اللفظ الدخيل وصحة نسبتها إلى العرب، والعربيّ الفصيح: "...هو الشخص الذي لم يتعلّم لغته من معلّم بل نشأ عليها، ولم يتأثر بلغة أخرى، ويصحّ على ذلك أن يُستشهد بكلامه..." (حاج صالح، 2007، صفحة 19)، وجاء في لسان العرب في مادة فصح: "...فصح الرجل وتفصح إذا كان عربيّ

اللسان، فازداد فصاحة، وقيل تفصح في كلامه، وتفصح: تكلف الفصاحة..." (ابن منظور، 2001، صفحة 186)، فالفصاحة هنا صفة للكلام، وليس للمتكلّم .

وفي مقابل اللغة العربية الفصيحة التي صارت لغة العلم والثقافة عندنا، نجد العامية وهي المستوى الثاني من اللغة؛ حفظت في معجمها ألفاظاً من اللغة الأصلية للسكان بينما أخذت معظم ألفاظها من العربية، وأخضعتها لقواعدها النحوية، والصرفية، والصوتية، والدلالية؛ ومصطلح العامية هنا هو نسبتها إلى العامة من الناس، فـ "...العامي المنسوب إلى العامة، من الكلام: ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي، العامية لغة العامة، وهي خلاف الفصحى..." (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، صفحة 676)، فإذا كانت الفصحى تحكمها قواعد تخضع إلى إجماع الناطقين بها، فإن العامية هي صنيعة لسان العامة من الناس، يشترك في إنشائها المتعلّم، والأمي على السواء، الغاية فيها تقصّي الألفاظ الخفيفة على اللسان، والقياس في ذلك أن "...العامة أو الكافة يستخفون ألفاظاً فيقتصرون على استعمالها..." (فروخ، د ت، صفحة 34)، إلّا أنّهم يخضعونها إلى القواعد الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية المنتشرة بينهم.

3 -عوامل تحوّل الفصحى إلى عامي.

خضعت الألفاظ العربية الفصيحة إلى قواعد النطق الخاصة بالسكان الأصليين للبلاد، فنتج عن ذلك لغة أغلب ألفاظها من العربية، إلّا أنّها محكومة بعادات لغوية مختلفة، يمكن رصدها وحصرها في جملة من العوامل يذكر منها: العامل النحوي، والصرفي، والدلالي، والصوتي.

3-1 العامل النحوي.

من أشهر تعاريف النحو التي تناولتها كتب اللغة العربية منذ بداية عصر التدوين قول ابن جني: "...النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب والتوكيد وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، وإن لم يكن منهم..." (ابن جني، 1956، صفحة 34)، قيل هذا الكلام حينما بدأ لسان العامة يخالف سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره...

كانت الشعوب التي تعلّمت اللغة العربية تستثقل -إلى حدٍّ ما- قواعدها، أو بالأحرى تستثقلها لأنّها تخالف قواعد لغاتهم الأصلية، وكان الالتزام بها يأتي بالجهد، فيجد المتكلّم فيها المشقّة، شيئاً فشيئاً بدأ اللحن يتسرّب إلى الفصحى، وبدأت عملية التأثير والتأثير بينها وبين اللغات التي احتكت بها، فشاع اللحن في النطق، وإهمال بعض قواعد الإعراب، وتجاهل أخرى، في حين لوحظ استحداث بعض القواعد المستوحاة من لسان أهل المنطقة، والتي صيرت الاستعمال الفصحى إلى عامي، ويمكن رصد بعضها في هذا البحث، ومنها:

3-1-1 تسكين أواخر الكلمات

إذا كان الإعراب هو سمة اللغة العربية فإنّ البناء على السكون هو سمة العامية، والإعراب كما يُعرّفه النحاة هو: "...أثر يحدثه العامل في آخر الكلمة فيكون آخرها مرفوعاً، أو منصوباً، أو مجزوراً، أو مجزوماً، حسب ما يقتضيه ذلك العامل..." (الغلايتي، 2007، صفحة 20)، والملاحظ أنّه في عاميتنا لا نوظّف هذه القاعدة كثيراً، وهذا الأمر ليس مقصوراً على عاميتنا فقط... بل يشمل جميع العاميات في البلاد العربية، إذ لم يكن سكانها يعربون

الكلام في لغاتهم الأصلية..." (ضيف الله، د ت، صفحة 13)، ولذلك كان لكلّ أمة طريقته في فهم اللغة، وإجلاء المعنى.

يتم في العربية تحديد موضع الكلمة في الجملة من خلال إعطائها حركة إعرابية تميّزها عن غيرها، أو إضافة حرف إلى آخرها... بينما ما هي عليه عاميتنا فهو مخالف لهذه القاعدة، فأواخر الكلمات في الغالب الأعم ساكنة، سواء كانت أفعالاً أو أسماء، نخالف بذلك القاعدة العربية، حيث: "...إنّ العرب لا تبتدئ بساكن ولا تقف على متحرك، كما هو معروف، وأدنى سكتة تقتضي سقوط الحركة، والتنوين كما قلنا، بل لا سبيل إلى إيجاد اتصال مستمرّ في كلام لا وقف فيه..." (حاج صالح، 2007، صفحة 76)، نخالف تمامًا في عاميتنا هذه القاعدة، فنبدأ بالساكن ونسكن أواخر الكلمات من غير داعٍ للوقف، فنقول مثلاً: سَعِيدٌ اسْمُعْ أَذَانُ الصَّلَاةِ، بدل قولنا: سَعِيدٌ سَمِعَ أَذَانُ الصَّلَاةِ. وظاهرة التسكين هذه قد تكون من آثار لغة البربر الذين اختلط بهم العرب، والذين كان من قواعد لغتهم المبالغة في تسكين أواخر الكلمات، ف: "...الإعراب في الأمازيغية يقع على أول الاسم لا على آخره..." (شفيق، 2012، صفحة 27) فأواخر الكلمات في الأمازيغية حركتها ثابتة، فإذا لم تتصل بها حركة مدّ فهي ساكنة، والحركات في الأمازيغية ثلاثة: يعبر عنها بالواو، والألف، والياء.

والقاعدة في الأمازيغية تقول: "...كلّ حرف لا يوجد أمامه الألف، أو الياء، أو الواو يقرأ مجزوماً..." (الارضي، 2008، صفحة 8)، مثل: سَعِيدٌ، ثَرْوُحٌ...، والكلمات التي فيها حركة مدّ تظهر فيها الحركة مثل: دَارِي، أَكْثَبِي، اكَتَبُوا... وهكذا استثقل لسان العامة إعراب الكلمات على سنن العرب، فكانت الكلمات المستعملة في العامة أغلبها من المعجم العربي لكن إهمال الإعراب أفقدها ميزة الفصاحة التي كانت عليها.

3-1-2 حذف النون من المضارع المقترن بواو الجماعة و ياء المخاطبة

بالإضافة إلى تسكين أواخر الكلمات، نحذف في عاميتنا النون المقترنة بواو الجماعة، و ياء المخاطبة، نقول: تَدْخُلُوا لِلدَّارِ، وَيَدْخُلُوا لِلدَّارِ، وَتَدْخُلِي لِلدَّارِ، والأصل العربي الفصحى لهذه الجمل: تَدْخُلُونَ إِلَى الدَّارِ، يَدْخُلُونَ إِلَى الدَّارِ وَتَدْخُلِينَ إِلَى الدَّارِ، هذه "النون" التي حذفها لسان عاميتنا هي علامة الإعراب لهذه الأفعال، لأن هذه الصيغ يسميها النحاة الأفعال الخمسة: "...وحكم هذه الأمثلة الخمسة أنّها ترفع بثبوت النون نيابة عن الضمة، وتجرم وتنصب بحذفها نيابة عن السكون والفتحة..." (ابن هشام، 1998، صفحة 45)، بينما لساننا العامي يحذف هذه النون سواءً في حضور الناصب، أو الجازم، أو غيابهما.

3-1-3 الاكتفاء بالياء والنون في إعراب الجمع المذكر السالم

تقول القاعدة النحوية عن جمع المذكر السالم: "...فجمع المذكر السالم: ما جُمع بزيادة واوٍ ونونٍ في حالة الرفع مثل: "قد أفلح المؤمنون"، و ياء ونون في حالتي النصب، والجر مثل: أكرم المجتهدين، وأحسن إلى العالمين..." (الغلايتي، 2007، صفحة 179)، نجتمع في عاميتنا الأسماء جمعاً مذكراً سالماً، لكن نخالف القاعدة عندما يكون الاسم في

حالة رفع، فنلحق به ياءً ونوناً، نقول مثلاً: المُجاهدين شُجْعَانٌ، لا نفرق في عاميتنا بين حالة النصب، والجر، والرفع، مثل: المُجاهدين شُجْعَانٌ، وكَرُمْنَا المُجاهدين وأَفْرَحْنَا بالمُجاهدين، وهذا التغيير في إعراب جمع المذكر السالم يخالف قواعد النحو، غير أنّ كتب العربية لا تلغي هذا المنحى تماماً، فمما جاء فيها "...ويقول المبرد إنّ إلغاء زيادة الواو والنون في هذا الجمع والتزام الياء والنون فيه مع الإعراب على النون مذهب للعرب، ويقول السيوطي إنّ كان لغة لبعض تميم..." (ضيف الله، د ت، صفحة 66)، ويبدو أنّ هذا المذهب تسرّب إلى لهجتنا من العرب الذين استوطنوا البلاد.

3-1-4 أحرف المضارعة

يُعرف الفعل المضارع باتّصاله بحروف أربعة تلحقه فتميّزه عن الماضي، تقول القاعدة: "...يؤخذ المضارع من الماضي بزيادة حرف من حروف المضارعة المجموعة في كلمة أُنيت، أو أُتِين أو نَأَتِي..." (الهاشمي، د ت، صفحة 21)، نستعمل في عاميتنا ثلاثة حروف من هذه الأربعة عند إنشاء المضارع، نقول: هو يَرَسِمُ، هي تَرَسِمُ، نحن (أَحْنَا) نَرَسِمُو، بينما تحدث المفارقة مع ضمير المتكلم، حيث نبدل الهمزة نوناً فنقول: أنا نَرَسِمُ، أنا نَكْتُبُ، أنا نَلْعَبُ...

3-1-5 أسماء الإشارة

تتعدّد أسماء الإشارة في اللغة العربية منها: "...ذا للمفرد، وذان، وذين للمثنى المذكر، وذو، وته للمفرد المؤنث، وتان، وتين للمثنى المؤنث، وأولاء، وأولى بالمدّ، والقصر، والمدّ أفصح للجمع المذكر والمؤنث..." (الهاشمي، د ت، صفحة 99)، بالإضافة إلى تلك، وغالباً ما تلحق اسم الإشارة بهاء التنبيه، من هذه الأسماء نستعمل في عاميتنا: "هَذَا" بشكل فصيح، بينما للمؤنث نقول: هَذِي ساعة جديدة، وللمخاطب نقول: هَذَاكَ طالب ناجح، وللمخاطبة نقول: هَذِيكَ طالبة ناجحة، وللجمع نقول: هَذُوكَ الاثنين (مُحَمَّدٌ و أَحْمَدُ) مَجْتَهِدَيْنِ. بالاسم الدال على الجمع، نقول مثلاً: هَذُوكَ الاثنين (مُحَمَّدٌ و أَحْمَدُ) مَجْتَهِدَيْنِ.

3-1-6 أسماء الاستفهام

أسماء الاستفهام الماثورة عن العرب هي: "...مَنْ، وَمَنْ ذَا، وماذا، ومتى، وأَيَّانَ، وأَيْنَ، وكيف، وأَيُّ، وكم، وأَيُّ..." (الغلايتي، 2007، صفحة 108)، نستعمل في عاميتنا بعض هذه الأسماء بشكل واضح مثل: كم، وكيف، نقول: كَمْ مَنْ واحد؟، وكذلك: كيف حَالُكَ؟، بينما نتصرّف في أسماء الاستفهام الأخرى، مثل: أَيْنَ، نقلب همزتها واواً، فنقول: وَيَنْ رُحْتُ؟ ونستعمل متى لكن بإبدال حرف الميم نوناً ساكنة، وإضافة واو، وياء، نقول: وَيَنْتِي أَرْجَعْتُ؟ بينما بقية أسماء الاستفهام لا تظهر كثيراً في عاميتنا. ونستعمل كذلك في عاميتنا صيغة للاستفهام بعيدة نوعاً ما عن الفصحى نقول: رُحْتُ للدارِ وَآ، أَفَهَمْتُ الدرسَ وَآ... هذا التركيب نستعمله بغرض الاستفهام، والأصل الفصحى أن نقول: هل رحت للدار؟ هل فهمت الدرس؟، لكننا نحذف أداة الاستفهام "هل" ونضيف حرف "وَآ" في آخر الجملة، ونُنتطق بنوع من التنغيم لتعطي معنى الاستفهام.

3-1-7 استعمال لفظ "اللي" بدل الاسم الموصول

نقول في عاميتنا: التلميذ اللّبي اجتهد انْجَحَ - التلميذة اللّبي اجتهدتْ نَجَحَتْ - التلميذ والتلميذة اللّبي اجتهدوا نَجَحُوا - التلاميذ اللّبي اجتهدوا نَجَحُوا، هذا اللفظ "اللبي" ينطبق عليه تعريف الاسم الموصول: "...الاسم الموصول ما يدلّ على معيّن بواسطة جملة تُذكر بعده، وتسمّى هذه الجملة صلة الموصول..."، و مما يلاحظ في العامية عندنا أن: "...استعمال الأداة اللّبي للدلالة على الأسماء الموصولة، أيّا كانت منزلتها التركيبية من العدد والجنس..." (طالب الإبراهيمي، 2007، صفحة 65)، واستعمال هذه الأداة موجود في أغلب العاميات في الأقطار العربية، ويبدو أنّها كانت مستعملة في لغات العرب، ولعلّ اتفاق كل العاميات في الدول العربية على هذه الصيغة يدلّ على أنّها كانت مستعملة في لغات القبائل العربية قديماً بهذا اللفظ: "...وإلاّ فكيف نتصوّر الاسم الموصول يتّخذ في كل البلاد العربية صورة واحدة، هي "اللّبي" بدلاً ممّا نألفه في اللغة النموذجية من كلمات متعددة، مثل: الذي، التي، الذين، اللاتي، اللاتي..." (أنيس، 2003، صفحة 207).

3-1-8 إلحاق الشين بالماضي والمضارع المنفيّين

نلحق في عاميتنا بالفعل الماضي والمضارع المنفيّين حرف "الشين" في حالة النفي، فنقول: ما أجابش على السؤال، وما فهِمَش الدرس... يقابل هذه التراكيب في الفصحى "ما أجاب بشيء، ما فهم شيء... ويبدو أنّه من باب اختصار الكلام تحوّلت كلمة شيء إلى حرف "ش"، وهذه الظاهرة معروفة في أغلب البلاد العربية، ويُرجّح إبراهيم أنيس أنّها موروثه من لهجات القبائل العربية القديمة: "...والنفي مع الشين في نحو ما تحفّش، ما جاش، نراه في مصر، وفي بلاد الشام، وفي بلاد اليمن، وشرق الأردن، وجهات أخرى من الدول العربية الحديثة، مما يُرجّح أنّها ظاهرة قديمة كانت مألوفة في بعض اللهجات العربية القديمة، وأنّها انحدرت إلى لهجات كلامنا من تلك القبائل..." (أنيس، 2003، صفحة 208).

3-1-9 البناء للمجهول

يُخالف لساننا العامّي قواعد الفصحى في البناء للمجهول التي تقول: "...متى حُذف الفاعل من الكلام وجب أن تتغيّر صورة الفعل المعلوم، فإن كان ماضياً يُكسر ما قبل آخره، ويضمّ كل متحرّك قبله، فنقول في: كَسَرَ، وأَكْرَمَ، وتَعَلَّمَ: كُسِرَ، أَكْرِمَ، وتُعَلِّمَ، وإن كان مضارعاً يَضَمّ أوله، ويُفتح ما قبل آخره نقول في: يَكْسِرُ، ويُكْرِمُ، ويتَعَلَّمُ، ويَسْتَعْفِرُ: يُكْسَرُ، يُكْرَمُ، ويُتَعَلَّمُ، ويُسْتَعْفَرُ..." (الغلايتي، 2007، صفحة 42)، بينما في عاميتنا نستعمل هذه الأفعال بلفظها، ومعناها، ونبنّيها للمجهول في الماضي على الشكل: انْكَسَرَ الزجاج، بدل كُسِرَ الزجاج - انْكَرَمَ التلميذ المجتهد، بدل أَكْرَمَ التلميذ، وفي المضارع: يَنْكَسِرُ الزجاج، بدل يُكْسَرُ الزجاج - يَنْكَرُمُ التلميذ المجتهد، بدل يُكْرَمُ التلميذ المجتهد، وهذه الصيغة غير واردة في لسان العرب، ويبدو أنّها انتقلت إلى العامية من لهجة السكان الأصليين للمنطقة.

3-1-10 أحرف القسم

حروف القسم ثلاثة وهي: "...الواو - الباء - التاء..." (رمضان محمد، 2000، صفحة 95)، التقط لسان العامة حرفين من هذه الثلاثة، ووظّفها وفق قواعده، فالأول هو حرف الواو، وهو الأكثر تداولاً مثل: والله أنت صادق،

وَاللَّهُ كَلَامُكَ صَحِيحٌ، بينما القسم بحرف الباء قليل الاستعمال، نسمعه عادة على لسان كبار السن، مثل: بالله عَلَيَّ كَلَامُكَ صادقٌ، بينما حرف القسم الثالث: التاء يقتصر استعماله على الفصحى فقط.

3-1-11 مد تاء المخاطبة المتصلة بالماضي

يزيد لسان العامة ياءً بعد تاء المخاطبة في عملية مدٍّ للكسرة في قولنا: اسْمَعْتِيهِ وَأَكْتَبْتِيهِ، والقياس المطرد في الفصحى هو: سَمِعْتِيهِ، وَكَتَبْتِيهِ، ويبدو أنَّ هذه الباء جاءت لتخفيف النطق، إذ في العامية نسكن الحرف الأخير فيصعب الإتيان بحرفين ساكنين متقاربين فنمدَّ في حرف التاء الواقع بينهما لتسهيل النطق، وكان مدُّ تاء المخاطبة المتصلة بالماضي شائعاً عند بعض القبائل العربية البدوية، حيث: "...إِنَّمَا لُغَةٌ قِبَائِلَ رِبْعَةٍ، إِذْ تَمُدُّ كَسْرَةً تَاءَ الْمَخَاطَبَةِ الْمُؤَنَّثَةِ فَتَتَوَلَّدُ مِنْهَا يَاءٌ، فَتَقُولُ: أَكَلْتِيهِ، وَضَرَبْتِيهِ، بدلاً من أَكَلْتِهِ - ضَرَبْتِهِ..." (ضيف الله، د ت، صفحة 20)، ولعل وجود عرب من هذه القبائل في المنطقة هو ما مكن من انتقال هذه القواعد النحوية إلى لسان العامة.

3-2 العامل الصرفي

لكل لغة نظامها الصرفي الذي نشأ فيها عبر أجيال من الممارسة اللغوية، ولسان العامة عندنا عندما تعلّم اللغة العربية أخذ كل حرّيته في إعادة تشكيل كلماتها الفصيحة حسب ما تقتضيه قواعده الصوتية، فغيّر الكثير من صيغ الأفعال والأسماء، ويمكن رصد بعضها فيما يلي:

3-2-1 صيغ الفعل الماضي الثلاثي

"...للماضي من الثلاثي المجرد ثلاثة أوزان: فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ..." (الغلايتي، 2007، صفحة 159)، مثل: كَتَبَ، سَمِعَ... في عاميتنا نستعمل الأفعال الثلاثية على شكل واحد، بتسكين الفاء، واللام، وفتح العين، مثل: أَكْتُبُ واسْمَعُ... فنقول: محمد أَكْتُبُ الدَّرْسَ، محمد اسْمَعُ الصَّوْتَ، محمد يَكْتُبُ الدَّرْسَ... أما بالنسبة للرباعي نقول القاعدة الصرفية: "...للرباعي المجرد وزن واحد وهو: فعّل: كدَحْرَجَ..." (الغلايتي، 2007، صفحة 163)، نستعمل الأفعال الرباعية مثل: دحرج، وزلزل، ووسوس في عاميتنا كما هي مع تسكين الحرف الأخير، نقول في عاميتنا: دَحْرَجْتُ الحجرة، اَتَزَلَزَلْتُ الأرضَ، الشيطان اِيُوسُوسُ لِلإنسان...

3-2-2 إعلال الماضي المضاعف

نستعمل في عاميتنا أفعالاً عربية فصيحة بدلا لتها الصحيحة مثل: حَجَجْتُ، وَرَدَدْتُ، وَعَدَدْتُ... نقبل في عاميتنا الحرف المضاعف ياءً بقصد تخفيف النطق فنقول: حَجَّيْتُ - رَدَّيْتُ - عَدَّيْتُ... يخضع لساننا العامي مثل هذه الأفعال لقواعده التي تميل دائماً إلى الاختصار وتخفيف النطق، ومثل هذا الإعلال معروف كذلك لدى القبائل العربية التي نزل بعضها في المنطقة، فـ "...العامية تحاكي هذه اللغة بني تميم وقيس لا في الماضي المضعّف الرباعي، وإثماً في الماضي المضعّف الثلاثي، فتلحق به ياءً، مثل: بَلَّيْتُهُ في بللته - جَرَّيْتُهُ في جرّره - حَجَّيْتُ في حججت... (ضيف الله، د ت، صفحة 19).

3-2-3 إهمال صيغة المثني

في أغلب خطاباتنا العامة نتقل من المفرد إلى الجمع دون المرور بصيغة التثنية للأفعال، ففي قولنا مثلاً: محمد وأحمد كُتِبُوا درُسُهُم، فاطمة وجميلة كُتِبُوا درُسُهُم، وفي المضارع: محمد وأحمد يَكْتُبُوا درُسَهُم، فاطمة وجميلة يَكْتُبُوا درُسَهُم، وفي الأمر مع المثنى: اَكْتُبُوا درُسَكُمْ، لما نثر على دليل يُثبت أنَّ العرب كانوا يتجاهلون صيغة المثنى في لغتهم، لكن يبدو أنَّ هذه العدوى جاءتنا من لسان الأمازيغ الذين اختلط بهم العرب في بلادنا، فلغتهم لا يوجد فيها مثنى، يقول محمد شفيق: "...نلاحظ أنَّ التركيب الأمازيغي والتركيب العربي متشابهان إلا أنَّ الأمازيغية ليس فيها مثنى، ولذا لا يُستعمل المثنى إلا نادراً في العربية العامة المغاربية..." (شفيق، 2012، صفحة 140)، أما في الأسماء فنستعمل أحياناً صيغة المثنى فنقول: وَرَقَتَيْنِ، ضَرْبَتَيْنِ... وللتثنية في عاميتنا نستعمل في أغلب الأحيان لفظاً مركباً من الاسم المراد تثنيته مضافاً إليه لفظ "رُوج" للدلالة على المثنى، مثل: ابنت رُوج ديار، غَيَّبَت رُوج أيام...

3-2-4 تسكين التاء في صيغ الأفعال تتفاعل وتفاع

نستعمل في عاميتنا الكثير من الأفعال على وزن تَفَعَّلَ، وتَفَاعَلَ مثل: تَبَسَّمَ-تَحَمَّلَ-تَرَشَّحَ-تَوَضَّأَ-تَفَرَّغَ-تَيَمَّمَ-تَقَاتَلَ-تَضَارَبَ-تَنَافَسَ... لكن لسان العامة ينطقها بالشكل التالي: اَتَبَسَّمَ-اَتَحَمَّلَ-اَتَرَشَّحَ-اَتَوَضَّأَ-اَتَيَمَّمَ-اَتَقَاتَلَ-اَتَضَارَبَ-اَتَنَافَسَ... وذلك بتسكين حرف التاء، نقول مثلاً: اَتَرَشَّحْتُ للانتخابات- اَتَيَمَّمْتُ للصلاة- اَتَنَافَسْتُ محمد وأحمد على المرتبة الأولى...

3-2-5 اسم الفاعل

اسم مشتق من مصدر الفعل المبني للمعلوم للدلالة على من وقع منه الفعل، فمن الثلاثي نصوغه على وزن فاعل مثل: كتب كاتب، ومن غير الثلاثي يُبدل الحرف الأوّل في مضارعه ميماً مضمومة مع كسر ما قبل آخره مثل: أكرم مُكْرِم (الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، د ت، صفحة 310). في عاميتنا نوافق هذه القاعدة مع الفعل الثلاثي الخالي من حروف العلة مثلاً: كتب - كاتب، ختم - خاتم، أضرب - مُضْرِب... أما إذا كان الفعل أجوفاً مثل: خاف، ومال... فنصوغ اسم الفاعل على الشكل: خائف، ومايل... وذلك لأنَّ الهمزة أصعب الحروف من حيث النطق، فتجنبناها من قبيل التسهيل، وهذا النوع من النطق له أصل عند عرب الحجاز قديماً، فـ "...بجمل القول أنَّ أكثر الهمزات كانت لا تنطق في لهجة الحجاز، إلا ما كان في أوائل الكلمات..." (عبد التواب، 1997، صفحة 45).

3-2-6 اسم المفعول

نشق اسم المفعول في عاميتنا حسب القاعدة العربية مع بعض الأفعال ونخالفها مع أفعال أخرى، فأصل الاشتقاق لأسم المفعول: يكون من الثلاثي على وزن (مفعول) نحو: منصور، معلوم، وتحذف منه واو (مفعول) إن كان فعله أجوفاً معتلاً، نحو: مَقُول ومَبِيع، وتُقلب هذه الواو ياءً، وتُدغم في لاهمه إن كان ناقصاً، نحو مَرْمِي ومَرْضِي (الهاشمي، د ت، صفحة 313)، نسير وفق هذه القاعدة إذا كان الفعل ثلاثياً غير معتل مثل: كتب-مَكْتُوب، شغل-مَشْغُول... لكن إذا كان الفعل معتلاً، فنقول: يبيع- مَبِيع، يدين-مَدْيُون... وبذلك يكون اشتقاقنا صحيحاً من ناحية القياس على الوزن مفعول لكنه شاذ في الاستعمال.

3-2-7-الصفة المشبهة

ليس للصفة المشبهة صيغ ثابتة في اللغة العربية، وإنما تأتي بصور مختلفة ف"...هي الصفة المصوغة لغير تفضيل لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها دون إفادة الحدث..." (ابن هشام، 1998، صفحة 236)، نستعمل في عاميتنا الكثير من الصفات المشبهة ذات الأصل العربي الفصيح دون تحريف كبير، باستثناء تسكين الحرف الأخير، مثل: شجاعٌ وحسنٌ، وضخمٌ، وعالمٌ، وبطلٌ، وجبانٌ، وفرحانٌ، وعطشانٌ، وعظيمٌ، وشيخٌ، وكريمٌ... نقول: فلان شجاعٌ- هذا عالم كبيرٌ، هذا إنسان كريمٌ، كنت عطشاناً، هذا شيخ عظيمٌ...

3-2-8-النحت

من مميزات لساننا العامي الرغبة في الإسراع في الكلام، ولذلك نلجأ إلى اختصار بعض العبارات والأسماء الطويلة، مثل قولنا: "ماغليّهش"، اختصاراً لعبارة "ما عليه شيء"، وهذه الظاهرة معروفة عند العرب قديماً، وتسمى بالنحت، ف"...نحت الكلم ضرب من الإيجاز في التعبير، وهو صوغ كلمة من كلمتين أو أكثر..." (ضيف الله، د ت، صفحة 135)، وفي الموروث اللغوي العربي أمثلة كثيرة عن نحت العبارات، منها: "...ومن ذلك بسمل بسملة من بسم الله- حمدل حمدلة من الحمد لله، حسبل حسبله من حسبي الله..." (ضيف الله، د ت، صفحة 135). وكذلك بالنسبة الأسماء ننحت في عاميتنا من الأسماء الطويلة بغرض تخفيف النطق، مثل: "عَبْدَق" من عبد القادر، وهذا أيضاً تفعله العرب..." وقالت قريش في النسبة إلى عشيرة عبد شمس عبشمسي..." (ضيف الله، د ت، صفحة 135)، وعملية النحت هذه لا تتمّ اطراداً في عاميتنا، وإنما مع بعض الأسماء والعبارات فقط، فهي ليست قاعدة عامة، وإنما تخضع للذوق والعادة.

3-2-9-مدّ الحركات

يقوم لسان العامة بمدّ الحركات في بعض الكلمات، وذلك بتطويل الفتحة فتتولد منها ألف، والضمّة فتتولد منها ياء، والكسرة فتتولد منها ياء (ضيف الله، د ت، صفحة 92)، ومثل ذلك: كلمة "معك" ننطقها في عاميتنا "امعأك"، وفعل "قُلْ" يصبح "قُولُ" و "يَه" تصبح "يِيَه".

3-3-العامل الصوتي

يختلف أداء الأصوات من أمة لأخرى، بالرغم من تشابه جهاز النطق عند البشر، فقد "...برهن معظمهم على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح..." (أنيس، 2003، صفحة 162)، و مع ذلك فإن هناك اختلاف في النطق..." وذلك راجع إلى أحوال الحنجرة، وعضلات الفم، وإلى حال اللسان من الصغر، والكبر، والدقة، والغلظ، وإلى حال الأسنان في تركيبها و ترتيبها..." (فروخ، د ت، صفحة 33)، و لعل هذا ما يفسّر الاختلاف في نطق الألفاظ العربية من منطقة إلى أخرى.

3-3-1-تسهيل الهمزة

تسهيل النطق بالهمزة ظاهرة يشترك فيها العرب مع الأمازيغ، فالعرب الذين استوطنوا شمال إفريقيا أغلبهم من قبائل بني سليم، وبني هلال، وهم من عرب الحجاز، ويُعرفون بهذه الظاهرة، حيث "...يكثر الحجازيون من تسهيل الهمزة في الأفعال فيقولون في سأل: سأل يسأل، ويكثر هذا التسهيل عند بعض القراء..." (ضيف الله، د ت، صفحة 41)، أما عند الأمازيغ الذين اختلط بهم العرب فالأمر لا يختلف كثيراً، فـ"...الهمزة لا تنطق قاطعة في الأمازيغية إلا عند الابتداء أي في أول الكلمة..." (شفيق، 2012، صفحة 10)، ويظهر هذا في عاميتنا بشكل واضح فالألفاظ العربية التي فيها همزة نطقنها بتسهيل همزتها، فالأفعال مثل: قرأ، سأل، بدأ، استأنى، جاء نطقها في عاميتنا على الشكل: اقرا-سأل-بدأ-استئى-جا....

وإذا اتصلت بالفعل التاء مثل: بدأت، ملأت...نقلب هذه الهمزة ياءً مثل: ابديت، امليت...وكذلك في الأسماء مثل: قراءة، عباءة...نقول في عاميتنا: قراية-عباية...في جانب تسهيل الهمزة لا تبتعد عاميتنا عن الفصحى كثيراً، فهذا الحرف الحلقي يصعب النطق به حيث "...إنّ الهمزة من أصعب الحروف في النطق، وذلك لبعدها مخرجها، إذ تخرج من أقصى الحلق كما اجتمع فيها صفتان من صفات القوة..." (محيسن، 1967، صفحة 84)، لذا نجد النطق بها فيه الكثير من الاختلاف.

3-3-2 تحقيق الهمزة أو العننة

شكّلت الهمزة حاجساً للسان العامة، حيث نجدها مسهلة في بعض الكلمات، وحين يُراد تحقيقها تُبدل بحرف آخر قريب منها في المخرج، هو حرف العين، وذلك لأن "...مخرجها المزمزم نفسه، ولا عمل للوترين الصوتيين معها، وقد وصفناها قبلاً بأنها من الأصوات الشديدة إن لم تكن أشدها، وأنّ أهل البادية يحقّقونها في لهجاتهم فحين يُبالغ في هذا التحقيق، ويُراد أن تكون أوضح في السمع يُستبدل بها أحد الأصوات الحلقيّة القريبة منها مخرجاً، وصفة، وأقرب أصوات الحلق إليها هو العين..." (أنيس، 2003، صفحة 97). وهذه الظاهرة تنتشر في البوادي أكثر من الحواضر، فنجد من المتكلمين من يقول: الفرعان بدل القرآن، والمسعود بدل المسؤول...ويسمّي اللغويون هذه الظاهرة بالعننة، وكانت شائعة لدى العرب قديماً، وهذا النوع من الإبدال أصبح مجال استعماله في عاميتنا محدوداً، قد نسمعه عند كبار السن خاصة، أمّا عند صغار السن، وسكان المدن فالنطق بالعننة نادر الحدوث.

3-3-3 إبدال الهمزة هاء

نستعمل في عاميتنا حرف الجواب "إي"، ونظيف له هاءً ساكنة ونبدل الهمزة هاءً فيصبح على الشكل: هية، وإبدال الهمزة هاءً في حرف الجواب إي، كانت تفعله العرب قديماً، فقد جاء في لسان العرب: "...هيه بمعنى إيه، فأبدل من الهمزة هاءً-إيه كلمة استزادة للكلام..." (ابن منظور، 2001، صفحة 126).

3-3-4 قلب الألف واو

في عاميتنا نقلب الهمزة في كلمة "أذن" إلى حرف واو فتصبح "وَدْن"، وذلك لأن: "...الواو والياء قد تُستبدلان من الهمزة، وبها، وأكثر هذا التغير اتفاقي، يذكر النحويون أمثلة له، منها أنّ "أسماء" اسم علم أصلها: وسماء، وأنّ "أديّة" اسم علم مذكر، تصغير اليد، أصلها: يُدّيّة..." (عبد التواب، 1997، صفحة 49)، ويبدو أنّ الهمزة من

أصعب الحروف في النطق، فلاخراجها ينبغي غلق فم الحنجرة بينما هو في باقي الحروف مفتوح، لذا نجد أنها تتعرض إلى الحذف، والإبدال، والتخفيف (عبد التواب ، 1997، صفحة 42).

3-5 قلب الميم نون

نقول في عاميتنا: هذا الشيء ائْتاعِي بمعنى: "هذا لي"، وتقابلها في الفصحى كلمة "متاعي"، والمعنى المعجمي لها يجعلنا نفترض أنَّ لسان العامة أبدل الميم نوناً فأصبحت على الشكل: "ائْتاعِي"، فقد جاء في لسان العرب في مادة متع: "...المتاع: فأما المتاع فكل شيء ينتفع به ويُتَبَلَّغ به و يُتَرَوَّد به..." (ابن منظور، 2001، صفحة 13)، ويبدو أنَّ هذا الانتقال إلى حرف النون بسبب قرب مخرج الميم من مخرج التاء، ولو نطقنا كلمة متاعي بتسكين الميم لوجدنا فيها ثقلاً لأنَّ الميم حرف شفوي يقع خلف مخرج التاء الذي يوجد في أصل الثنايا قريباً من مخرج الميم، وحرف النون مخرجه من فوق الثنايا بعيداً عن حرف الميم (عبد التواب ، 1997، صفحة 12)، وإذا سكَّنا حرف الميم مثل: ائْتاعِي فإن النطق سيكون ثقیلاً لذا نبدل حرف الميم بحرف النون.

3-6 إبدال حرف الشين بحرف السين

في عاميتنا لما يجاور حرف الشين حرف الجيم في مثل: شجرة، شجاعة نجد ثقلاً في نطق هذه الكلمات، لوجود حرفين متجاورين هما الشين والجيم لهما مخرج واحد هو وسط اللسان، ويختلفان في الصفة، فالشين رخو مهموس، والجيم شديد ومجهور، ويخرجان من مخرج واحد (عبد التواب ، 1997، صفحة 12)، نطق مثل هذه الكلمات في عاميتنا: سَجَرَة - سَجَاعَة، و ذلك بإبدال الشين سيناً، لأن السين قريبة منه في الصفة وبعيدة عن مخرج الجيم، فالسين مخرجها من طرف اللسان فوق الثنايا العليا، ومن صفاتها الرخاوة، والهمس (عبد التواب ، 1997، صفحة 15).

3-7 إبدال القاف بحرف الكاف

نقوم في عاميتنا بنقل مخرج حرف القاف إلى مخرج حرف الكاف وهذا النوع من الإبدال استعماله محدود منطقتنا، نجد مثلاً في الفعل قتل، حيث نقول: اكْتَلَّ - كَتَلُوا - يَكْتُلُوا، يقول إبراهيم أنيس عن هذه الظاهرة الصوتية: "...كلما التقى صوتان أحدهما مهموس والآخر مجهور، فلا بدَّ من تغيير أحدهما ليصبح الصوتان إما مهموسين أو مجهورين..." (أنيس، 2003، صفحة 175)، ولما التقى في هذا الفعل حرف التاء المهموس مع حرف القاف الشديد والمجهور (عبد التواب ، 1997، صفحة 15)، فتمَّ إبدال حرف القاف إلى حرف الكاف ليتَّمَّ الانسجام بين حروف الكلمة.

3-8 إبدال حرف الصاد بحرف الزاي

نبدل في عاميتنا أحياناً بين حرف الصاد والزاي، في مثل اسم "صَدَام"، نقول: زَدَام، ونشتقُّ منه الفعل: يَزْدَم، يرجع سبب هذا الإبدال لكون حرف الصاد مهموس ورخو وحرف الدال مجهور وشديد، وحتى يتمَّ الانسجام داخل الكلمة ويسهل النطق بأقلَّ جهد، لا بدَّ من تغيير أحد الحرفين، حتى يصير الحرفان إما مهموسين أو مجهورين (عبد التواب ، 1997، صفحة 175)، وفي مثل اجتماع حرفي الصاد مع الدال، يقوم لسان العامة عندنا بإبدال حرف الصاد بحرف الزاي، فيحدث انسجام بين حروف هذه الكلمة، فالزاي، والدال، والميم يشتركون في صفة الجهر، ومثل

هذا الإبدال كان يعرفه العرب، يقول عبد القادر عبد الجليل نقلاً عن سيويه: "...وسمعا العرب الفصحاء يجعلونها زائاً خالصة، وذلك قولك في التصدير: التزدير، في الفصد: الفزد، وفي أصدرت أزدت..." (عبد الجليل، 1997، صفحة 40).

3-4 العامل الدلالي

يحتوي المعجم اللغوي لعاميتنا على عدد كبير من الأسماء، والأفعال، والحروف العربية الفصيحة، منها ما يستعمل وفق دلالاته الأصلية المعروفة عند العرب، ومنها ما تغيرت دلالاته، بالانحطاط، أو التضيق، أو التعميم و"... الحقيقة العلمية التي لا مرأ فيها اليوم هي إنَّ كلَّ الألسنة البشرية ما دامت تتداول فيها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجاباً ولا سلباً، وإنما هو مأخوذ في معنى أنَّها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات، والتركيب من جهة، ثم في الدلالة على وجه الخصوص..." (المسدي، 1986، صفحة 36)، وجاء هذا التغير الدلالي للألفاظ العربية في العمومية على عدة مستويات نذكر منها:

3-4-1 تعميم الدلالة

هناك ألفاظ فصيحة نستعملها في خطابنا اليومية للدلالة على عدة مسميات، لكن في الأصل كانت تدل على مسمى واحد، ولسبب ما أصبحت في عاميتنا ذات دلالة موسعة، يقول عبد الجليل منقور: "...أما تعميم الدلالة فمعناه أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل..." (منقور، 2001، صفحة 72)، وفي عاميتنا مثلاً لفظ حانوت نستعمله بمعنى محل تجاري، فنقول: حانوت خضار، حانوت مواد غذائية، حانوت خردوات.... بينما الحانوت قديماً عند العرب هو محل بيع الخمر، جاء في شعر الأخطل:

" وَ لَقَدْ شَرَبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا وَ شَرَبْتُهَا بِأَرِيضَةٍ مَحَلَّلٍ " (الأخطل، 1994، صفحة 260). وجاء في مادة حنت: "...الحانوت: دُكَّانُ الْخَمَارِ، ويُذكر، والخَمَارُ نفسه، وهذا موضع ذكره والنسبة حانيّ، وحانوي..." (الفيروز أبادي، 2008، صفحة 150)، بينما نعم دلالاته في عاميتنا على جميع محال البيع.

3-4-2 انحطاط الدلالة

هو تغير دلالي يلحق الألفاظ المستعملة، فتتحول دلالاتها من معنى رفيع إلى معنى منحط، قد يرجع ذلك إلى سوء فهم هذه الألفاظ، وقد يكون من باب تخصيص دلالاتها، وتحويلها من معنى عام إلى معنى جزئي وتضييق مجال استعمالها (منقور، 2001، صفحة 72)، مثل ذلك في عاميتنا لفظ "باسل"، وهو لفظ عربي فصيح، نقرأه في لامية الشنفرى:

"وَكُلُّ أَيِّ بَاسِلٍ عَرَّيْتُ أَتَيْتُ إِذَا عَرَضْتُ أَوَّلِي الطَّرَائِدِ أَبْسُلُ" (الشنفرى، 1996، صفحة 59).

دلالة لفظ باسل عند العرب قديماً بمعنى الشجاعة، وجاء في كتاب العين في مادة بسل: "...بسل: يبسل بسولاً، وهو عبوسة الشجاعة والغضب، وأسد باسل، واستبسل الرجل إذا وطن نفسه عليه، واستيقن به، أبسل نفسه للموت وطنها عليه..." (الفراهيدي، 2003، صفحة 139)، هذا اللفظ في عاميتنا معناه مخالف لما كان يعرفه العرب، ففي عاميتنا ندل به علي قليل الحشمة، نقول: فلان باسل، بمعنى: قليل الحياء.

3-4-3 رقيّ الدلالة

ومثلما تنحطّ دلالة بعض الألفاظ، قد تقوى ألفاظ أخرى، وتترقّى دلالتها، وتصبح تحمل معاني أرقى مما كانت تدلّ عليه في السابق، فكلمة رسول كان معناها في لغة العرب باهتًا وبسيطًا، يدلّ على الشخص الذي يحمل رسالة من مكان إلى مكان، لكن في الإسلام ترقى معناها وأصبح كلما ذُكر لفظ الرسول يحيلنا مباشرة إلى ذكرى اسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم (أنيس، 2003، صفحة 158).

ومن الألفاظ العربية المستعملة في عاميتنا وحدث لها شيء من رقيّ الدلالة لفظ "عَيْطٌ"، معناه في لسان العرب هو: "...عَيْطٌ كلمة ينادى بها عند السكر أو الغلبة، وقد عَيْطَ، قال الأزهري: عَيْطٌ كلمة ينادي الأشر عند السكر، ويلهج بها عند الغلبة، فإن لم يزد على واحدة قالوا: عَيْطٌ..." (ابن منظور، 2001، صفحة 10)؛ وهذا المعنى المنحطّ تحوّل في عاميتنا إلى معنى أرقى نوعاً ما، فهو يدل على النداء بصفة عامة، فنقول: عَيْطُ لفلان، وعَيْطُت لفلان...

3-4-4 اندثار بعض الألفاظ من الاستعمال الفصيح وبقاؤها في العامية

هناك ألفاظ عربية مُستعملة في عاميتنا بدلالاتها الفصيحة، ولا ينتبه لها إلا الخاصة من أهل العربية، مثل الفعل: خَلَعَ، نستعمله في عاميتنا بمعنى إحداث الفزع، نقول: الخُلْعُتُو - الخُلْعِي - الخَلْعَة، يبدو لغير المتمكّن من العربية أن هذا الاستعمال عامي، فقد تعودنا على هذا المعنى للفعل خلع: "...خلع: خلع الشيء يخلعه خلعاً، واختلعه كنزعه... وخلع النعل والثوب والرداء يخلعه خلعاً..." (ابن منظور، 2001، صفحة 130). غير أنه من معاني هذا الفعل الغائبة عن الاستعمال في زماننا ما "...رجل مخلوع الفؤاد إذا كان فزعاً، وفي الحديث: من شرّ ما أعطي الرجل شرّ هالع وجبن خالع، أي شديد كأنّه يخلع فؤاد من شدّة خوفه..." (ابن منظور، 2001، صفحة 130)، وهذا المعنى الثاني نستعمله في عاميتنا، والكثير ممّا يجهل أصله العربي، بينما المعنى الأوّل تقتصر في استعماله على المستوى الفصيح، و كثير من الألفاظ في عاميتنا على هذا الشكل مثل: خزر وهدر وهرد...

تصرّف لسان العامة في الجوانب النحوية، والصرفية، والصوتية للألفاظ العربية، إلى الحد الذي جعلها تخالف - إلى حد ما - أصلها الفصيح، إلا أنه مهما تغيّرت فإنّها ستبقى حاملة لجيناتها العربية الفصيحة التي لا يمكن أن تندثر مهما طال الزمن، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم، والقرآن باقٍ، ولغته باقية في نفوسنا، قد تتغيّر ألفاظه في شكلها أو في دلالتها، فهذه سنّة كونية، فقط يكفي أن نعرف أن أصول هذه الألفاظ عربية فصيحة .

الخاتمة

- خلص البحث في موضوع الألفاظ العربية الفصيحة المتداولة في العامية الجزائرية إلى نتائج منها:
- أغلب العرب الذين استوطنوا المنطقة من قبائل بني هلال الذين تمازجوا مع السكان، ونشأ منهم جيل مولّد.
- الألفاظ العربية الفصيحة المستعملة في عاميتنا تحمل سمات لغات القبائل الحجازية (بني هلال).

- حضور اللغة الفرنسية محدود في عاميتنا، فتأثيرها في الناحية الثقافية لسكان المنطقة كان أقلّ حدّة مقارنة مع سكان المدن، فالفرنسيون استقروا في منطقتنا بقواعدهم العسكرية فقط، وكان احتكاكهم بالسكان قليلاً.
- الألفاظ العربية في عاميتنا على ضربين: أحدهما منتشر في الأماكن الحضرية، منشؤه المدارس ومطالعة الكتب واستماع وسائل الإعلام، وآخر موجود في البادية توارثته الأجيال.
- احتفظت عاميتنا في قاموسها بعدد كبير من الألفاظ العربية الفصيحة، منها الموظّف بشكل سليم، ومنها المحرّف ومنها ما تغيّرت دلالته، سواءً بالرقّي، أو الانحطاط، أو التوسيع، أو التضييق.
- وجود ألفاظ عربية فصيحة في عاميتنا مستعملة بلفظها ومعناها إلا أنّها مهمة في الاستعمال الفصيح.

مكتبة البحث:

- 1-إبراهيم أنيس. (2003). في اللهجات العربية. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 2-أبو الفتح عثمان ابن جني. (1956). الخصائص (المجلد 1). (محمد علي نجار، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- 3-أبو عبد الله جمال الدين ابن هشام. (1998). شرح قطر الندى وبل الصدى. (طعمة، المحرر) بيروت، لبنان: دار المعرفة لبنان.
- 4-أحمد علم الدين الجندي. (1983). اللهجات العربية في التراث. بيروت، لبنان: الدار العربية للكتاب.
- 5-الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2003). كتاب العين (المجلد 1). (عبد الحميد هندراوي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 6-السيد أحمد الهاشمي. (د ت). القواعد الأساسية للغة العربية. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 7-ثابت بن جابر الشنفرى. (1996). الديوان (الإصدار 2). (بديع يعقوب إيميل، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- 8-جمال الدين أبو الفضل ابن منظور. (2001). لسان العرب (المجلد 13). بيروت، لبنان: دار الصادر.
- 9-خولة طالب الإبراهيمي. (2007). الجزائريون و المسألة اللغوية. (محمد يحياىن، المترجمون) الجزائر، الجزائر: دار الحكمة.
- 10-رمضان عبد التواب. (1997). التطور النحوي للغة العربية (الإصدار 3). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- 11-شوقي ضيف الله. (د ت). تحريفات العامية للفصحى. القاهرة، مصر: دار المعارف.
- 12-عبد الجليل منقور. (2001). علم الدلالة أصوله و مباحثه. دمشق، سوريا: اتحاد الكتاب العرب.
- 13-عبد الرحمان ابن خلدون. (1995). تاريخ ابن خلدون (الإصدار 1). الجزائر، الجزائر: موفم للنشر.
- 14-عبد الرحمان حاج صالح. (2007). بحوث و دراسات في اللسانيات العربية (المجلد المؤسسة الوطنية للفنون). الجزائر، الجزائر.

- 15-عبد السلام المسدي. (1986). *اللسانيات و أسسها المعرفية*. تونس، تونس: الدار التونسية للنشر.
- 16-عبد القادر عبد الجليل. (1997). *الدلالة الصوتية و الصرفية للهجة الإقليم الشمالي*. عمان ، الأردن: دار الصفاء للنشر.
- 17-عمر فروخ. (د ت). *تاريخ الأدب العربي* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- 18-عيسى اسكندر المعلوف. (1934). *مجلة المجمع العربي الملكي* (المجلد 1). القاهرة، مصر: مطبعة بولاق.
- 19-غياث بن غوث الأخطل. (1994). *الديوان* (الإصدار 2). (المهدي ناصر الدين، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 20-مبارك الارضي. (2008). *المعجم الأمازيغي الوظيفي*. الرباط، المغرب: مطبعة النجاش الجديد.
- 21-مجد الدين الفيروز أبادي. (2008). *القاموس المحيط* (الإصدار 8). (محمد العرقسوسي، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- 22-المعجم الوسيط (المجلد 1). (مجمع اللغة العربية). القاهرة، مصر: دار الدعوة.
- 23-محمد الهادي الحسني. (2010). *من وحي البصائر* (الإصدار 1). الجزائر، الجزائر: دار الأمة.
- 24-محمد سالم محيسن. (1967). *المقتبس من اللهجات العربية و القراءات* (الإصدار 1). القاهرة، مصر: مكتبة القاهرة.
- 25-محمد شفيق. (12 03, 2012). *أربعة و أربعون درسا في الأمازيغية*. الرباط، المغرب: الأكاديمية الملكية المغربية.
- 26-مصطفى الغلايتي. (2007). *جامع الدروس العربية* (الإصدار 1). (أحمد جاد، المحرر) القاهرة، مصر: دار الغد الجديد.
- 27-نادية رمضان محمد. (2000). *الواضح في النحو* (الإصدار 1، المجلد 1). القاهرة، مصر: جامعة حلوان.